



## ما الذي يحدث في صف زميلتي؟

خولة ريان

وما زلت أحبس دموعي حتى اليوم كلما تذكرته.

في فترة طفولتي، كان يجذبني كثيراً ذلك الرداء الأبيض الذي كانت ترتديه الطبيبة أو الممرضة، ما كان يجعلني أنأملهن وأراقبهن كثيراً حين أكون في المستشفى أو العيادة، متمنية أن أرتدي في يوم ما واحداً مثله. حين أنهيت الثانوية العامة، وبتقدير ممتاز، حصلت على منحة لدراسة التمريض، فرحت جداً بها، وشعرت بأن أمنيته ستتحقق، ولم أكن أتوقع إصرار أبي على الرفض، وذلك لأن دراسة هذا التخصص سيضطرنني إلى ترك البيت، والإقامة في الكلية كسكن داخلي، وهذا الموضوع لم يكن مستساغاً بالنسبة إليه.

كان الخيار الوحيد هو أن ادرس «التربية»، وأدخل سلك التعليم، وبعدما أنهيت السنة الأولى من هذا التخصص، سمعت عن روضة قريبة من بيتي تحتاج إلى مربية لتعمل فيها، تقدمت للوظيفة، وتم قبولي على أن أتابع دراستي الجامعية. لم يكن اليوم الأول سهلاً بتاتا، فأنا لا أعرف

أنا الطفلة البكر والمدللة في عائلتي التي تحملت فيها مسؤولية مع أمي التي تزوجت وهي صغيرة جداً، ما جعلني، حين كبرت، أشعر بأنها صديقتي، وأنها تحتاجني كما تحتاجها، وأن المسؤولية يجب أن نتقاسمها معاً، وبخاصة أن أمي أنجبت في البداية 3 من الذكور الذين كنت أشاركهم جميع ألعابهم الذكورية، حتى اهتماماتي وقتها كانت تشبه اهتماماتهم، ما جعلني أتمنى وألح كثيراً على أمي بأنني أحتاج أن تكون لدي أخت، أستعيد معها أنوثتي، وأتشارك معها ألعاباً لم أقتنيها يوماً كالدمى، والفساتين.

لم أكن فقط البكر في عائلتي، بل، أيضاً، الحفيدة الأولى التي حظيت باهتمام كبير، وبخاصة من قبل جدتها، والأكثر منها الجد الذي وصفته لي جدتي بأنه كان يعيشني، وأنه فرح لمجيئي أكثر من فرحته بمجيء أحفاده الذكور بعدي. لم أشعر بما كانت دائماً تردده أمامي الجدة، إلا بعدما خطف الموت مني جدي حينما كنت في الصف العاشر، وشعرت بعده بفراغ كبير كان يملأه، وبألم فقدان ومرارته،

الكتابة كثيراً، ولا أشعر أن الكتابة يمكنها أن تصف ما أريد قوله بدقة.

عملت في هذه الروضة مدة 6 سنوات كنت فيها قد تزوجت وأنجبت أطفالاً، ما اضطرني إلى ترك عملي وتكريس كل وقتي لتربيتهم. بعد 5 سنوات قضيتها في البيت، قررت العودة، مجدداً، إلى العمل في روضة قريبة من بيتي، توفّر فيها شاغر. كان العمل في هذه الروضة مختلفاً عن الروضة التي شكلت فيها كل خبرتي الأولى بالعمل مع الأطفال.

في بداية عملي في الروضة الجديدة، التحقت بدورة خاصة بتدريب المربيات للعمل مع هذه المرحلة العمرية، لكنني لم أشعر أنها حققت لي أي إضافة. حتى بدأت أرى شيئاً مختلفاً يحدث في صف زميلتي لم أره من قبل في التعليم، فتساءلت ما الذي تفعله وما الذي يجعل أطفالها مهتمين كثيراً بما تقدمه لهم، ويجيئون إلى المدرسة بهمة عالية؟

عن التعليم شيئاً سوى أنني أحب الأطفال كثيراً، وأحب قضاء الوقت معهم، لكنني كنت محظوظة بتعريف على مدير المدرسة الذي كان يعمل مدرساً يوماً ما، فقد أبدى تعاوناً كبيراً معي، وكان يدخل إلى الصف الذي كنت أعمل فيه، يجمع الأطفال حوله ويبدأ في تعليمهم وأنا أقوم بمراقبته. كان يقدم لي الكثير من النصائح، ما جعلني أخطو خطوة تلو خطوة نحو هذه المهنة بكل حب وثقة. وأكثر ما أذكره أنه كان دوماً يقول لي: «حتى تتجحي، عليك أن تكوني دوماً قريبة منهم، وتتحدثي كثيراً معهم». الجملة التي لم أدرك كثيراً معناها إلا بعدما خضت تجربتي الأولى في برنامج الطفولة مع مؤسسة عبد المحسن القطان.

كانت نقطة الخلاف الوحيدة بيني وبين هذا المدير الذي تعلمت منه الكثير، هي دفتر التحضير، فقد كان يطلب مني دوماً أن أقوم بالتحضير اليومي لكل ما سأقوم به مع طلابي، وهذا الشيء الذي كنت أكرهه، فأنا لا أحب



جانب من تطبيقات التربية خولة ريان مع الأطفال في روضة السلام في بيت دقو.



عن الدورة الجديدة للكون المهني لمربيات مرحلة الطفولة المبكرة التي كانت زميلتي منتسبة لها، حتى سارعت إلى التسجيل فيها.

الدورة الجديدة من البرنامج جعلتني أتمكن أكثر من الجانب النظري من الموضوع، وجعلتني أنكبُّ على التخطيط والتطبيق بشغف كبيرين، فأنا الآن أنقل تجربتي إلى أطفال صفي، وها أنا أتحوّل من معلمة تقليدية إلى معلمة متجددة كل يوم.

أصبح لدينا مشاريعنا التعليمية الخاصة بصفنا، أصبحت معلمة تعرف طلابها جيداً، تعرف كيف تكون قريبة منهم، تفكر معهم وتتعلم بصحبهم، بدأت أفكر في بدايات جديدة للتعلم يمكنها أن تحقق الجذب الكبير لأطفالي، وكلما كانوا يسألون أكثر، بت أرى أن هناك ما يحفزهم أكثر نحو التعلم، فأشعر أنني أسير في الاتجاه الذي كنت أريده، أن أكون معلمة.

#### روضة السلام - بيت دقو

ما يحدث أثار فضولاً كبيراً لدي، فتوجهت إليها وسألته، فتحدثت عن أمور لأول مرة أسمعها، عباءة خبير، دراما، طلاب يعملون كفريق مسؤول ...

لم أفهم شيئاً مما قالته، كأنها كانت تتحدث بلغة جديدة غير معروفة بالنسبة لي، ولم أسمعها من قبل، حتى جاءت فرصة مشروع «المجاورة»، فكان على زميلتي أن تعلم معلمة أخرى مجاورة لها في الروضة، وتنقل لها التجربة عبر التخطيط المشترك، والتطبيق، والتأمل بمجريات التعلم التي تحدث.

وافقت دون تردد أن أكون تلك المعلمة المجاورة، ورافقت زميلتي مدة فصل دراسي كامل، تعرفت من خلاله على منهجيات التعليم الجديدة التي كانت تستخدمها في تعليم أطفالها، صرنا نتشارك كل شيء، من الفكرة حتى المشروع، شعرت خلال ذلك بمتعة كبيرة في التعليم، وشغف كبير تقاسمته مع زميلتي والأطفال. تعرفت خلال هذه التجربة على مؤسسة عبد المحسن القطان، وما تقدمه من برامج لتطوير التعليم في جميع الحقول، وما أن أعلن



تطبيقات المربية ريان مع أطفال الروضة.

